تعليمية المطالعة

هيبة هزيل

تمهيد:

إذا كانت القراءة تشكل المدخل إلى الحضارة والثقافة المعاصرة، وإذا كانت الدول المتقدمة ودول العالم الثالث تبذل ما وسعت من جهود في سبيل تعميم القراءة والكتابة من أجل القضاء على الأميّة بأشكالها المختلفة ، وإذا كان مفهوم القراءة قد تخطىّ مسألة فك الحرف والرمز اللغوي إلى اعتبارها ممارسة اجتماعية ثقافية لا بدّ للإنسان المعاصر منها والإفادة من منتجاتها والعيش على نبضها - وجُبَ علينا أن يكون هدفنا الأبعد من تعلّمية القراءة الوصول بالمتعلّم إلى حب المطالعة ولذة مجالسة الكتاب والكلمة المكتوبة وريادة المكتبات ومتابعة النتاج الثقافي بكل أشكاله .

ولن يكون لنا ذلك إذا لم تقم المدرسة بدورها في هذا المجال ، وإذا لم يقم المعلم بما هو من أولى واجباته في هذا المشروع التّربوي الطموح ، وإذا لم يقع المجتمع بهيئاته المحلية وبمؤسساته العالمية بما عليه من واجب في دفع المتعلم نحو اعتبار المطالعة هدفا مطلوبا ومرغوبا و ملحًا في إطار مشروعه التعلّمي الذي لن يستمر ويتطور إلا إذا كانت المطالعة إحدى روافده الأساسية.

ويهدف تسهيل هذه المهمة على المدرسة والمعلم والمجتمع رأينا من الواجب أن نقوم في هذه الدراسة بالتوسع في شرح أهداف تعلّميّة المطالعة ،وفي عرض نشاطاتها المساهمة في تحقيق هذه الأهداف عن طريق تطبيقها في غرفة الصف منتهين إلى عرض نموذج استثمار قصة من القصص التي يرغب المتعلمون في مطالعتها.

أ- أهداف تعلمية المطالعة:

قبل الولوج إلى معالجة أهداف تعلّميّة المطالعة يتبادر إلى ذهننا السؤال الأول الآتي: هل تشكل المطالعة مادة تعليم لتكون لها تعلّميّتها؟.

وإذا نظرنا إلى الهدف الأبعد من عملية تعليم القراءة وهو الوصول بالمتعلم إلى حب المطالعة ولذة مجالسة الكتاب والكلمة المكتوبة كما أشرنا إلى ذلك في مقدمة دراستنا، فان تحقيق هذا الهدف يستلزم ، في ما يستلزمه، تحديد أهداف واضحة لهذا النشاط ، وتعيين المادة وموضوع التعلم وشرح وتعلّميّتها . وربّ مستدرك يقول ما هي مادة المطالعة؟.

تتكون مادة المطالعة في صفوف حلقات التعليم كافة من كتب المطالعة المناسبة لأعمار المتعلمين ، ولنموّهم الفكري والانفعالي ومن الألبومات المصورة المنشورة والمعروفة في الأسواق، ومن كل ما هو منشور في المجلات التّربوية الموجهة للأطفال والأولاد، ومن كل ما يمكن أن يقع تحت نظر المتعلمين في المكتبات وعبر الأنترنيت.١ ولا نستهين بما هو منشور منها وبما تنشره دور النشر سنويا من روايات وقصص وأقاصيص وحكايات وسير وألبومات ومجموعات علمية وتاريخية واجتماعية وبوليصية وقصص خارقة وقصص العلم الواهم. وقد عمد في الآونة الأخيرة عدد لا بأس به من دور النشر إلى إلحاق هذه الكتب الموجهة للمتعلمين باستثمار تاربوي يساعد كل مطالع على التعمق في فهمها وعلى استدراك ما فاته عند قراءتها.

على أن عدم الاستهانة بما هو منشور لا ينفي وجود ميادين حيوية لم تتطرق إليها هذه المنشورات على أنواعها ،وذلك ما يدعونا إلى توجيه دعوة ملحّة إلى مؤلفي كتب الأطفال إلى التطرق إلى ميادين الحياة كافة لسد هذا النقص الذي نلاحظه في الثقافة العربية في هذا الميدان مقتفين في ذلك أثر المؤلفين الغربيين الذين أغنوا الثقافة الغربية للأطفال بما يطمحون لمطالعته من مواضيع متنوعة معالجة بأسلوب شيّق سلس ومعروضة في انتاج مصور ملون ذي اخراج غنيّ وبأشكال فنية متعددة.

والسؤال الذي يتبادر في ذهننا هو الآتي: هل من تعلم القراءة تعلم المطالعة؟.

إن من تعلم القراءة يصبح قادرا على ممارسة المطالعة ، غير أن من تدرب على المطالعة ، يصبح أكثر قدرة

على الاقبال على المطالعة . ذلك أن تعليم القراءة يسمح لنا أن نميز بين ستة أنواع منها وهي: القراءة التنقيبية الاكتشافية، القراءة التمثّلية الاستيعابية، القراءة الذهنية، القراءة الخطية الأفقية ، القراءة الخلاّقة، القراءة الإحساسية التذوقية ؛علما أن على المعلم أن يدرّب متعلّميه على كل نوع من هذه الأنواع؛ غير أن القراءة التي تستثمر في المطالعة إنما هي القراءة الخطية الأفقية من هنا ضرورة تدريب المتعلمين على ممارسة هذا النوع من القراءة واستثمارها في مطالعة القصة والأقصوصة، وهي تختلف كليا عن سائر أنواع القراءات الأخرى.

ولن يُقبل المتعلّم على المطالعة ما لم يتدرب على هذا النوع من القراءة وما لم يمارسها حين يجلس وحيدا أمام كتابه.

وكما أن كل معلّم يحضّر مادة تعليمه قبل المباشرة بتعليمها ،كان لزاما على كل معلم لغة في مراحل التعليم وحلقاته كافة أن يبادر إلى التعرف إلى مادة المطالعة في الصف الذي يقوم بتدريسه وهي مادة متجددة متنوعة. وكيف له أن يقرر مادة تعليمه أو يتقن طرائق تعليمها إذ لم يكن على علم بهذه المادة وبما استجد عليه حديثا مما يروق أذواق المتعلمين ويشدهم بموضوعاته ولغته وإخراجه.

أما أهداف تعلّميّة المطالعة فيمكن تحديدها على الوجه الآتي:

١- اكتشاف لذّة المطالعة عن طريق العيش في عوالم الكتب مما يثقف المتعلم ويرفه عنه ويساعده على قضاء أوقات ممتعة في صحبة الكتاب.٢

٢- التعرف إلى الانسان في عوالمه المتعددة الاجتماعية والسياسية والتاريخية والفكرية والنفسية والعاطفية.

٣- إتخاذ موضوعات القصص والمقالات والدراسات والكتب مواضيع للنقاش والتثاقف.

٤- السعي لخلق جماعات قارئة صديقة للكتاب تجد متعة في المطالعة، وفي الاطلاع على نتاج العقول وفي التباحث فيه.

٥- توسيع مدارك المتعلم عن طريق الدخول إلى عوالم النصوص المقرؤة واكتناهها.

٦- تذوق النصوص المطالعة والتفاعل معها وتقويمها وإبداء الرأي فيها والتدرب على كتابة نصوص مماثلة.

٧- تحرير الانسان من سلطة وسائل الإعلام بتمكينه من اختيار مصادر ثقافته ومن النظر إليها نظرة ناقدة.

٨- دعوة المتعلم إلى احترام الكتاب والمحافظة عليه والى اعتباره قيمة ثقافية وحضارية.

٩- ادخال الكتاب إلى عالم المتعلم فيكون جزءا أساسيا منه تتركز عليه رغائبه وطموحاته.

والغاية من هذه الأهداف هي في أن يعيش المتعلّم على وقع نتاج أغزر معطى ثقافي معاصر؛ فبالكتاب نحفظ تراثنا ونتعلم علومنا ونبحث ونتثقف ونترفّه. فلا غُنى لنا عنه في الحضارة المعاصرة.٣

وإذا كانت هذه أهدافنا من المطالعة فماذا تكون النشاطات التي علينا أن نقوم بها لمساعدة المتعلمين على تحقيقها؟

ب- نشاطات تعلمية للمطالعة :

إذا كان الهدف من تعلّم المطالعة للوصول إلى خلق إنسان مطالع وجماعة صفية قارئة وشعب قارئ،٤ فان النشاطات التي تسمح لنا بالوصول إلى هذا الهدف متنوعة ومتعددة يمكن عرضها على الوجه الآتي٥:

١- القيام بنشاط [قرأت لك] أو [قرأت لكم] بحيث يقوم كل متعلّم بغرض ما قرأه هذا الأسبوع لهذا النشاط، على أن تتنوع موضوعات القراءة من قصة وخبر ومقالة ودراسة وعلى أن يكون عرضها واضحا وقصيرا، ما يفسح في المجال للمتعلمين وللمعلم في أن يطرحوا على زميلهم القائم بهذا النشاط الأسئلة التي يرونها مناسبة.

٢- تخصيص حصة لتبادل الرأي حول قصة معينة أو مقالة أو دراسة قرأها الصف بكامله بحيث يقوم متعلم بغرض مضمونها ويقوم آخر بإدارة النقاش وتبادل الرأي حولها ويقتصر دور المعلم على الإشراف والتوجيه مبتعدا عن لعب دور أساسي في إدارة النقاش تاركا هذه المهمة لأحد المتعلمين أو لفريق تنشيط من المتعلمين أن يحضّر معه كيفية إدارة هذه الحصة.

٣- جمع ردّات فعل المتعلمين حول قصة أو مقالة أو دراسة عن طريق صحيفة جوّالة يدوّن عليها كل متعلم ما أعجبه في هذه القصة ، شريطة ألاّ يكرر أي متعلم ما قاله رفاقه. وهكذا يتعرّف المتعلم إلى ردّات فعل المتعلمين الآخرين ويكتسب طريقة في التعبير عن رأيه وفي تبريره.

٤- دراسة قصة دراسة فنية تطال بنيتها ، مميزين بين الوضعية الأولية،

الوظعية التغييرية، وضعية التوازن المرحلي، التعقيد والتأزم ووضعية التوازن النهائي والحل منتهين إلى وضع خط بياني لأحداث القصة.

٥- دراسة قصة دراسة فنية تميز فيها الشخصيات من ثانوية ورئيسية وأدوارها ومحفِّزاتها ومعجم صفاتها ومشاعرها منتهين إلى وضع لوحة بشخصيات القصة وأدوارها.

٦- دراسة قصة دراسة فنِّية انطلاقا من الأسلوب القصصي السائد فيها مميزين في ذلك بين التقليد والمنظور. فالتقليد يجعلنا نشعر أنّ أحداث قصة أم رواية معينة هي الأحداث بعينها والمنظور يسمح لنا بالتمييز بين الأسلوب القصصي غير المصوَّب والأسلوب القصصي المصوَّب اللّذين يحدّدان موقع القاص في القصة أو الرواية.

٧- الاحتفال بميلاد كاتب عن طريق عرض أهم مراحل حياته وتاريخ انتاجه الأدبي والتعريف بأعماله وعرض مقتطفات منها يستحسنها المتعلمون.

٨- الاحتفال بسنة كاتب معين تخصص لدراسة نتاجه القصصي والروائي بحيث يتوزع هذا النشاط على السنة الدراسية بكاملها وعلى صفوف مرحلة أو حلقة.

٩- المطالعة الموضوعاتية٦: يقسم الصف في هذا النشاط إلى فرق متعددة وتقوم كل فرقة منها بمطالعة نوع معين من القصص كالتاريخية أو الاجتماعية أو قصص العلم الواهم أو غيرها، وتخصص حصة لكل فريق ليقوم كل عضو منه بعرض القصة أو الرواية التي قرأها بحيث تكتمل الصورة عند المتعلمين حول هذا النوع القصصي في مرحلة معينة ، ولا يخفى ما لدور المعلم الموجه من أهمية في انجاح هذا النشاط عن طريق انتقاء القصص والمساعدة على فهمها واستثمارها والتهيؤ لعرضها بالطريقة التي يستحسنها بعد تلخيصها ملتزمين أصول تلخيص القصص وبالوقت المخصص لكل متعلم لعرض ما قام بتحضيره.

١٠- مباراة في القصة القصيرة: يدعوا المعلم متعلِّميه إلى كتابة قصة قصيرة متمثلين بالقصص التي قرأوها وناسجين على منوالها على أن تصحح هذه القصص وتقيَّم من لجنة تحكيم خارجية وتعطى جوائز للفائزين مع نشر نتاجهم القصصي.

١١- ملف مطالعاتي الشخصية: يقوم هذا النشاط على دعوة المتعلِّمين إلى تخصيص دفتر خاص يدوِّنون فيه انطباعاتهم وآرائهم حول ما قرأوه وما يقرأونه بحيث يستنسخون جملا بليغة استحسنوها ويطرحون آراء وتعليقات حول ما قرأوه ويكتبون فيه ما يحلوا لهم من خواطر وأفكار ومقالات؛ ويقتصر دور الأستاذ هنا على توجيه العمل في هذا الملف الذي يرافق المتعلم في حياته الدراسية كلها وقد يمتد لمراحل حياته كلها.

١٢- رواية قصة للصف أو لصف أدنى بعد قراءتها عن طريق أدائها أداء معبِّرا مازجين في ذلك بين الرواية والقراءة محاولين جذب انتباه المتعلمين وشدّهم إلى قراءة القصة.

إذا كانت التوجهات التربوية الحديثة قد أكدت على وحدة النشاطات اللغوية فلا فصل غير مبرَّر بين أنشطة القواعد والاملاء ، وأنشطة القراءة والتعبير بوجهيه الشفهي والمكتوب وأنشطة المحفوظات، فإن المطالعة تشكل وجها آخر من وجوه ممارسة هذه الوحدة اللغوية؛ إذ هي تجمع بصورة تلقائية وعفوية كل مكتسبات المتعلم وتوحدها في خدمة مشروع تعلمه الذي لن يدوم ويستمر إلا إذا تقوى، بما اكتسبه المتعلم من مطالعاته. فالمطالعة سدى التعلم ولحمته ، بما ينمو المتعلم ويكبر في مراحل حياته كافة. وهل في مستطاع أي منا أن يكتفي بما تعلمه في المدرسة أم عليه أن يغني ما تعلمه بمطالعاته المستمرة.

الخاتمة :

العلاقة بين القراءة والمطالعة، بين تعلم القراءة ومطالعة كعلاقة النهر بالبحر؛ فالنهر يصبّ في البحر: والبحر تتبخر مياهه ويؤمن الأمطار التي تجدِّد مياه النهر.

هكذا نرى العلاقة بين مطالعة الأثر الكامل، مطالعة الرواية، مطالعة المجموعة القصصية وبين قراءة. فالهدف الأبعد للقراءة هو الوصول إلى حب المطالعة وإلى مجالسة الكلمة المكتوبة. وحب الكتاب ومجالسة الكلمة المكتوبة يؤدي إلى رقي القارئ وبالتالي إلى خلق شعب قارئ راق . ذلك أن الرواية هي من الفنون الأدبية المتطورة عند الشعوب المتقدمة وهي سجلُّها ووسيلة استشراف لمستقبلها، كما أنها في الوقت عينه دليل لرقيِّها ورهافة ثقافتها.

المصادر والمراجع :

١ – GIASSON J. 2005.LES TEXTES LITTERAIRES A LECOLE .BRUXELLES.OEBOECK p.p1119-

2- AUVERON C. dir .2002. lire la littérature a l'école. pourquoi et commet conduire cet apprentissage spécifique de la GS au CM2.paris .hatier.pp1724-

3-CHAUVEAU G .2004.comment l'enfant devient lecteur .paris.retz.pp 210215-.

4-GIASSON J.les textes....205.pp 2129-.

5- BRASSEUR P .2003.101.activités autour du livre . raconter explorer. Jouer . créer paris. Casterman.pp.1066-.

6- GIASSON J .les textes pp.١٦٤-١٤٧.